تحولات التضمين القرآني في شعر المجون العباسي
دراسة في التفاعل النصي والدلالة

م. د زهراء عماد لطيف حسين
جامعة بابل كلية التربية الأساسية
bas527.zahraa.emad@uobabylon.edu.iq

Transformations of Quranic Implication in Abbasid Debauchery Poetry: A Study of Textual Interaction and Meaning

Dr.Zahraa Amad Latif Hussain
University of Babylon, College of Basic Education

الملخص

استهدفت الدراسة الكشف عن النص المضمن في شعر المجون عند شعراء المجون العباسيين، والبحث عن هدفهم من التضمين، وما أحدثه من تغاير دلالي عبر الفضاء النصي الجديد الناتج عن عملية الخلق والإعادة.

وللوصول إلى هذه الأهداف اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي، للكشف عن مواطن التضمين وكيفية توظيفها داخل النص الجديد، وإنتاج دلالة تأثيرية متميزة عبر هذا التضمين.

وقد توصل البحث إلى عدة نتائج أهمها: أن هناك عملية تفاعلية بين ثنائية التضمين والدلالة الجديدة للنص تتناسق مع المقام والسياق.

كما اتخذ البحث عدة توصيات أهمها: التوجه إلى شعراء العصر العباسي للكشف عن التضمين القرآني، فشعراؤه عندهم زخم تضميني أفادوا منه في خلق بنًى نصية ثرية الدلالة.

الكلمات المفتاحية: التضمين– المجون– التفاعل النصي– الدلالة.

Abstract

The study aimed to uncover the textual content embedded in the licentious poetry of Abbasid licentious poets, explore their purpose behind this inclusion, and examine the semantic variation it created across the new textual space resulting from the process of creation and re-creation.

To achieve these objectives, the study relied on an inductive approach to uncover the sources of inclusion and how to employ them within the new text, producing a distinct impactful meaning through this inclusion.

تحولات التضمين القرآني في شعر المجون العباسي
دراسة في التفاعل النصي والدلالة

م. د زهراء عماد لطيف حسين

The study reached several conclusions, the most important of which is that there is an interactive process between the duality of inclusion and the new meaning of the text, .consistent with the situation and context

The study also made several recommendations, the most important of which is to turn to the poets of the Abbasid era to uncover Quranic inclusion. These poets possessed a wealth .of inclusion, which they leveraged to create meaningful textual structures

.Keywords: Implication, licentiousness, textual interaction, meaning

المقدمة:

لجأ شعراء المجون في العصر العباسي إلى التضمين لطغيان الثقافة الدينية، وتأثرهم بنصوص القرآن الكريم، فيضمنون ألفاظه، أو معانيه، ويصوغونه في تشكيل منتوجهم الشعري بصورة فنية تتناغم مع النص الجديد، مما يثير في المتلقي البحث عن ذلك الموروث المعرفي، والمقارنة بينه وبين ما صِيغ فيه، ولا ريب أن هذا يفيد النصية من ناحية، ويفيد التجدد الدلالي من ناحية أخرى.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن النصوص القرآنية المضمنة في شعر المجون عند الشعراء العباسيين وهدفهم من وراء هذا التضمين، ودراسة النص الجديد المبني بناء فنيًّا من نصين متغايرين في الديمومة والفناء، وقمة البلاغة والطموح إليها، وتقاطع النصين في فضاء الملفوظات والمؤثرات الخارجية، وفهم الدلالة الجديدة المنتجة من الفضاء التعبيري الجديد وما أحالت إليه من حمولات دلالية جديدة مصهورة من نصين متغايرين.

منهج البحث:

اتخذ البحث (المنهج الاستقرائي) كأداة فاعلة للكشف عن مواضع التضمين في شعر المجون، وتأثيره على التفاعل النصي وتغيُّر الدلالة.

مشكلة البحث:

تعد أكبر مشكلة تواجه الدراسة هي كون ألفاظ القرآن ومبانيه مقدسة ربانية نزلت باللفظ والمعنى على رسول الأمة ﷺ ومحاولة الاقتراب منها عند شعراء المجون تعد مقامرة من ناحية الشاعر، فقد يُرمى بالخروج من الدين إن أساء إلى لفظ أو معنى في القرآن الكريم.

المبحث الأول: الإطار النظري

التضمين لغة: يتنوع المفهوم اللغوي للجذر (ض م ن) ويدور حول عدة معاني، ومن أهمها: الإيداع، والاحتواء، والاشتمال. يقول ابن منظور: " ضَمَّنَ الشيء الشيءَ: أَوْدَعه إياه كَمَا تُودِعُ الوعاءَ المتاعَ والميتَ القبرَ... ضُمِّنَه: أُودِعَ فِيهِ وأُحرِزَ... ضَمِنَ الشيءَ بِمَعْنَى تَضَمَّنَه؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: مَضْمُونُ الْكِتَابِ كَذَا وَكَذَا"[1]، والمعنى اشتماله على عدة أبواب وأنواع من العلوم.

التضمين اصطلاحًا: مصطلح التضمين قديم عرَفه النقاد والأدباء، ونظرًا لتجاذبه بين عدد من العلوم اختلف مفهومه وتباين بحسب كل علم، ولكن يمكننا تحديد مفهوم يسير عليه البحث من خلال تعريف بعض العلماء كابن رشيق القيرواني (ت 456هـ) حيث يقول: "التضمين قصدك إلى البيت من الشعر أو القسيم فتأتي به في أواخر شعرك أو في وسطه كالمتمثل"[2].

ويعرفه الخطيب القزويني (ت 739هـ) كما أورده شراح "المفتاح": "أن يضمّن الشّعر شيئا من شعر الغير، مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورًا عند البلغاء"[3].

ومن خلال التعريفين نجد أنهما قصرا التضمين على الشعر فقط، حيث يضمن الشاعر شعر غيره، مع مقصدية الشاعر ووعيه التام بما يفعل.

ولكن كثيرًا من النقاد القدامى وسَّع من مفهوم التضمين، فجعله في الشعر والنثر، فللشاعر أن يضمن من القرآن الكريم آية، أو جزءًا منها، في شعره، لأغراض شعرية متعددة، ومن هؤلاء العلماء:

ابن الأثير (ت 637هـ) فقد اهتم بالتضمين في كتابه "المثل السائر" وفصَّل الحديث فيه، خاصة المتعلق بتضمين آيات القرآن الكريم، أو الحديث النبوي، وقسَّمه إلى قسمين: حسن، ومعيب، فقال:

"أما الحسن الذي يكتسب به الكلام طلاوة: فهو أن يضمِّن الآيات والأخبار النبوية، وذلك يرد على وجهين: أحدهما تضمين كلي، والآخر تضمين جزئي، فأما التضمين الكلي: فهو أن تذكر الآية والخبر بجملتهما، وأما التضمين الجزئي: فهو أن تدرج بعض الآية والخبر في ضمن كلام، فيكون جزءً منه، وذاك أنه لا تؤخذ الآية بكمالها، بل يؤخذ جزء منها ويجعل أولًا لكلام أو آخرًا"[4].

([1]) ابن منظور، لسان العرب (257/13، 258)، مادة: (ضمن).

([2]) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد (84/2).

([3]) التفتازاني، المطول، ص 725. والعصام الأسفراييني، الأطول (126/1).

([4]) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت: الحوفي (200/2).

ومنهم السيوطي (ت 911هـ) الذي قسَّم التضمين إلى عدة أقسام أهمها ثلاثة: "إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه"؛ ويمكننا أن نطلق عليه التضمين اللفظي، و"إدراج كلام الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى، أو ترتيب النظم"؛ ويمكننا أن نطلق عليه التضمين النصي، و"حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم هو عبارة عنه"[5]. ويمكننا أن نطلق عليه التضمين الإشاري.

تعريف المجون:

المجون نوع من الخلاعة والعبث، ويُعرَّف المجون في اللغة بفعل القبائح والأشياء التي يستحي منها صاحبها، ولكنه لا يبالي بصنيعه لها، أو ذمِّ الناس له.

ففي "التهذيب": " الماجِنُ عِنْد الْعَرَب: الَّذِي يرْتكب المقابِحَ المُرْدِية، والفضائحَ المُخزية، وَلَا يمضُّه عَذْلُ العاذل، وتأنيبُ المُوبِّخ... المجْنُ: خَلْطُ الجِدِّ بِالْهَزْلِ"[6].

المجون اصطلاحًا: يعرفه أحد الباحثين بأنه: نوع من أنواع التهتك والخلاعة، والعبث والضياع الذي يتخبط فيه الإنسان، ويحتمل عدة معان كالشك، والإلحاد، والهزل، والتظرف، والخلاعة[7].

وربما حمل المصطلح معاني قديمة كالزندقة التي تقابل الإلحاد، والشعوبية التي تقابل كراهية العرب وتفضيل الموالي عليهم، والنظرة المتأنية للشعراء المُجَّان في العصر العباسي تفيد أن هؤلاء الشعراء كانوا ثائرين على عادات المجتمع وتقاليده العتيقة خاصة في الشعر، فهم ليسوا بالضرورة ملحدين أو زنادقة، ولكنهم رافضين لتقاليد يجاهرون بها، مما يدل على الرؤى المتغايرة المفاهيم التي تكونت من ثقافة الشاعر عبر المعرفة الثقافية الإنسانية، والتجربة الحياتية.

-العصر العباسي وظاهرة المجون:

ورثت الحضارة الإسلامية عناصر حضارات الفرس والروم وسواها من الثقافات الهندية واليونانية، فانبثقت منها نهضة عمرانية وفكرية بلغت أوجها في العصر العباسي. وقد انعكس هذا الثراء الحضاري على المجتمع في مظاهر الترف والبذخ التي سادت طبقة الحكام والوجهاء، فشاعت المجالس واللهو،

([5]) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم (309/3).
([6]) الأزهري، تهذيب اللغة، ت: مرعب (90/11)، مادة: (مجن).
([7]) ينظر: علي شلق، أبو نواس بين التخطي والالتزام، ص 466.

وكثر الرقيق والمغنون، وتسرّبت إلى العرب عادات فارسية وغربية. ومع ما دعا إليه القرآن من تحريم الخمر، انتشرت في المجتمع عادة شربها بفعل اجتهاد بعض فقهاء العراق الذين أباحوا أنواعًا من الأنبذة، فغدت ظاهرة عامة ترمز إلى تحولات العصر وميوله الماجنة[8].

في العصر العباسي اقترنت مجالس الخمر بالغناء والرقص، فأبدع الشعراء في تصوير أجوائها وسقاة الخمر وقيانها، واشتهرت في البصرة والكوفة وبغداد دورٌ مخصوصةٌ بذلك اللهو، ارتادها كبار الأدباء كشأن أبي نواس وأبي العتاهية ومطيع بن إياس وغيرهم، وتحولت بعض الأديرة والبساتين إلى حانات ومجالس للمجون، فانتشرت الرذيلة وشاعت المظاهر الإباحية، مدفوعةً بطمع النخّاسين وكثرة الجواري وتنوع أجناسهن، وبفعل من أظهروا الإسلام وأبطنوا عقائد فاسدة، فغدت الخمر والمجون من أبرز سمات الانحلال الاجتماعي في العصر العباسي[9].

في مقابل الطبقة المترفة، عاشت غالبية الشعب العباسي في فقرٍ وكفاف، فامتلأت المساجد بالزهاد والعلماء والوعّاظ الذين أنكروا مظاهر الترف والمجون. غير أن الشعراء المجّان مضوا في جموحهم غير مبالين بتلك الدعوات، فكان شعرهم مرآةً لتناقضات المجتمع وصراعه بين الزهد والانفلات. أخلص هؤلاء الشعراء لفنهم إخلاصًا مطلقًا، فسجّلوا تجاربهم بجرأة لا تعبأ بقيدٍ ديني أو اجتماعي، وجعلوا من حرية القول والعيش غايتهم القصوى، متجاوزين العرف والنفاق طلبًا للتعبير الصادق عن الذات[10].

وقد ظهر التضمين في شعرهم ردًّا على جانب الوعَّاظ والفقهاء والمحدِّثين الذين يعظونهم، واللائمين لهم:

– إما بدافع السخرية منهم والإصرار على ما هم فيه من فسق ومجون، كقول أبي نواس:

إِذَا وَلَجَ الْبَعِيرُ، فروغ صَبْرِي ... عَنِ الصَّهْبَاءِ فِي سمِّ الْخِيَاطِ

فَإِنْ رَابَطَتْ فِي ثَغْرٍ فَدَعْنِي ... يَكُونُ بِبَيْتِ خَمَّارٍ رِبَاطِي

وَحجَّ إِذَا أَرَدْتَ فَإِنَّ حَجِّي ... إِلَى سِرْبِ الْمُدَامَةِ بِالْبَوَاطِي

([8]) ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص 65.

([9]) ينظر: أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني (247/11)، (142/23).

([10]) ينظر: يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، ص 591.

وَقُـــلْ لِلْخَمْـــسِ آخِـــرُ مُلْتَقَانَـــا إِذَا مَـــا كَـــانَ ذَاكَ عَلَـــى الصِّـــرَاطِ[11]

فالشاعر يشير إلى تمسكه بمجونه، وعدم صبره على الخمر، وقد ضاق صبره حتى ضمَّن لفظين من آية قرآنية هي قوله تعالى: {حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} [الأعراف: 40]، وهو دليل على استحالة الأمر لديه، كما يعرّض بأركان الإسلام كالحج، فإن حجه يكون لبيوت الخمارات والدعارة، ورباطه وجهاده يكون في سبيلها، أما الصلوات الخمس فلا يؤديها ولن يلتقي بها إلا على الصراط، والأبيات التي لم نوردها مليئة بألفاظ المجون والخلاعة الصريحة الممجوجة؛ ومن ذلك أيضًا قوله [الرجز]:

يَـــا عَـــاذِلِي فِـــي الـــدَّهْرِ ذَا هَجْـــرُ لَا قَـــــدَرٌ صَـــــحَّ وَلَا جَبْـــــرُ

مَـــا صَـــحَّ عِنْـــدِي مِـــنْ جَمِيـــعِ الَّـــذِي يُـــــذْكَرُ إِلَّا الْمَـــــوْتُ وَالْقَبْـــــرُ

فَاشْـــرَبْ عَلَـــى الـــدَّهْرِ وَأَيَّامِـــهِ فَإِنَّمَـــــا يُهْلِكُنَـــــا الـــــدَّهْرُ[12]

فالشاعر هنا لا يؤمن بالبعث والنشور، وإنما يتبنى عقيدة المشركين الذين قالوا بأن هذه الحياة نتمتع بها وليس هناك بعث أو جزاء، مشيرًا إلى قوله تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية: 45]، وقد عرض هذا الشعر أبا نواس إلى رميه بالكفر من الكثير من معاصريه ومن جاء بعدهم، غير أن الدكتور شوقي ضيف يدافع عنه قائلًا: "وأكثر هذا التعابث والتماجن إنما كان يأتيه في أثناء سكره وشربه، فهو ليس إلحادًا صادرًا من قلبه، وإنما هو عربدة وخلاعة"[13].

-وإما محاولة لإقناع الصديق والخصم بحجتهم، فيسوق الشاعر حججًا مغلوطة في صورة مغلفة بالتضمين لإقناع المتلقي، كقول أبي نواس في الخمر (مجزوء الرمل):

هَـــــذِهِ الْمَمْنُـــــوعُ مِنْهَـــــا وَأَنَـــــا الْمُحْـــــتَجُّ عَنْهَـــــا

(11) أبو نواس النصوص المحرمة، ت: جمال جمعة، ص 69، 70.
(12) الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص 63.
(13) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص 107.

مَـــا لَهَـــا تَحْـــرُمُ فِـــي الدُّنْـــ ـــيَا، وَفِـــي الْجَنَّـــةِ مِنْهَـــا[14]

ففي البيت الأخير إشارة إلى ما أعده الله لأوليائه في الجنة من نعيم، ومنه الخمر التي حرمها عليهم في الدنيا، من مثل قوله تعالى: {وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ} [محمد: 15]، فالشاعر يأتي بحجة مغلوطة للإقناع، وهي كيف تحرم في الدنيا، وهي في الجنة من نعيم الآخرة؟!

ومن المجون غرامهم بالفتيان المرد وإقبالهم على فعل قوم لوط، وإعراضهم عن الفتيات، وكانوا يتباهون بذلك، ومن ذلك قول أبي نواس يرد على امرأة تلومه في الغرام بالفتيان وترك الفتيات مما يخالف الفطرة:

دَعِينِـــي لَا تَلُـــومِينِي فَـــإِنِّي عَلَـــى مَـــا تَكْـــرَهِينَ مَـــنَ الْمَمَـــاتِ

بِـــذَا أَوْصَـــى كِتَـــابُ اللهِ فِينَـــا بِتَفْضِـــيلِ البَنِـــينَ عَلَـــى الْبَنَـــاتِ[15]

فالبيت الأخير يضمن معنى آيتين: الآية الأولى تشير إلى المواريث وهي قوله تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} [النساء: 11]، والثانية هي قوله تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} [النساء: 34]، فالآيتان تشيران إلى تفضيل الذكور، ولكن التفضيل مشروط بمواضع معينة فالأولى التفضيل هنا في الميراث في حالات خاصة، والثانية شرط التفضيل فيها في إنفاق الزوج وقيامه بتكاليف الزواج، وقد ساق الشاعر حجته مغلفة بالتضمين لإقناع عذاله ولائميه بهذا المنطق المغلوط، والتضمين أكسب الأبيات هالة من الجمال ومرجعية دينية تثير الانفعال والتواصل بين النص والمتلقي.

-أو إعطاء شعرهم ثقل معرفي وهالة تقديسية بتضمينه ألفاظًا، أو بعض آية من القرآن الكريم، أو الإشارة إلى قصة نبي من الأنبياء، لتكثيف الدلالة، وخلق حوار تفاعلي وتواصلي بين النص المُنْشَأ والنص المُضمَّن، كقول أبي نواس [الطويل]:

فأَتْحَفَنَـــا الخمّـــارُ حِـــينَ طُرُوقنـــا بِرَاقُـــودِ خَمْـــرٍ شَـــكّ فِـــي جنبـــهِ شَـــكّا

ذخيـــرَةُ نـــوحٍ فِـــي الزّمَـــانِ الَّـــذِي اجْتَنَـــى فَأَدْخَلَهَـــا فِـــي الفُلْـــكِ إذ ركِـــبَ الفُلْكَـــا

([14]) الديوان ص 659، نسخة الشاملة الذهبية.

([15]) أبو نواس النصوص المحرمة، ص 56.

تَـــرَى عِنْـــدَنَا مَـــا يُســـخِطُ اللهَ كُلَّـــهُ مِنَ الْعَمَلِ الْمُرْدِي الْفَتَى مَا خَلَا الشِّرْكَا[16]

ويتضح من هذه الأبيات تبني أبا نواس لمذهب عقدي اشتهر في العصر العباسي، فهو يقر بارتكابه المعاصي ولكن لا يقر بالشرك، وقد أشار من خلال الأبيات إلى قصة نوح عليه السلام وحمله معه في السفينة من كل شيء زوجين، مضمنًا معنى قوله تعالى مخاطبًا نبيه نوح ﷺ: {فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ} [المؤمنون: 27]، وادعى أن الخمر التي يشربها هي مما حُملت مع نوح في سفينته، كما ضمَّن في البيت الأخير معنى قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: 48]، وهذا المعنى شهير في أشعاره كما سيأتي، ولا شك أن هذا التضمين يثير تفاعلًا بين المتلقي والشاعر ويخلق حوارًا حادًّا بين الرفض والتبرير، فنبي الله نوح لم يحمل معه خمرًا في الحقيقة، و ندري هل حمل معه بذور ثمارها أم لا؟

وفي قصيدة أخرى يذكر الخمر والقصف، وندمائه من بني مالك، ويذكر المعنى السابق من الإقامة على المعاصي مع عدم إقراره بالشرك، فيقول [الطويل]:

فَقُلْنَـــا: أَنُسْـــقاها عَلَـــى وجْـــهِ أهْيَـــفٍ لَـــهُ تِيـــهُ معشـــوقٍ وشَـــخْرَةُ شَـــاطِرِ؟

فَمَـــا زَالَ هَـــذَا دَأْبَنـــا وَغِـــذَاءَنا ثَلَاثِـــينَ يوْمًـــا مـــعْ لَيـــالٍ غَـــوَابِرِ

تَـــرَى عِنْـــدَنَا مَـــا يَكْـــرَهُ اللهُ كُلّـــهُ سِـــوَى الشّـــرْكِ بالـــرّحمنِ، ربِّ الْمَشَـــاعِرِ[17]

المبحث الثاني: الإطار التطبيقي

أنواع التضمين عند الشعراء:

(16) الديوان ص 890، نسخة الشاملة الذهبية.
(17) الديوان ص 375.

التضمين اللفظي: هو إدخال الشاعر ألفاظًا قرآنية في شعره توظيفًا يخدم المعنى ويضفي عليه جمالًا وعمقًا دلاليًا، وبرغم ندرته في شعر المجون، فقد لجأ بعض الشعراء إلى تضمين أسماء الأنبياء أو السور القرآنية لما تحمله من إشارات قصصية ورمزية تغني التجربة الشعرية، وتمنح النص قوة إيحائية وجمالية تُقنع المتلقي وتعمّق الرؤية الفنية؛ ومن هذه النماذج عند شعراء المجون:

أبو دلامة (ت 161هـ)، كان المهدي قد أمره أن يقيم رمضان، ويمتنع عن شرب الخمر، فشق ذلك عليه، فسأل عمن يشفع له عنده، فُدل على (ريطة) ابنة السفاح وزوج المهدي، فكتب إليها أبياتًا يستعطفها، ويظهر فيها مذهبه الخمري ونفوره من ليلة القدر، فقال [مجزوء الرمل]:

جَـــاءَ شَـــهْرُ الصَّـــوْمِ يَمْشِـــي ... مِشْـــيَةً مَـــا أَشْـــتَهِيهَا

قَائِـــدًا لِـــي لَيْلَـــةَ الْقَـــدْ ... رِ كَـــأَنِّي أَبْتَغِيهَـــا

وَلَقَـــدْ عِشْـــتُ زَمَانًـــا ... فِـــي فَيَـــافِيّ وَجِيهَـــا

قَاعِـــدًا أُوقِـــدُ نَـــارًا ... فِـــي عِـــلَابٍ أَحْتَسِـــيهَا

مَـــا أُبَـــالِي لَيْلَـــةَ الْقَـــدْ ... رِ وَلَا تُسْـــمِعِنِيهَا [18]

فالشاعر يعلن مجونه وعدم صبره عن الخمر، وقد أجبره الخليفة على قيام رمضان، وما كان يقوم في لياليه إلا عاكفًا على الخمر يعاقرها، وقد ضمن الشاعر لفظة قرآنية هي (ليلة القدر)، ولا يمكننا تجزئتها إلى كلمتين، ولو فعلنا ما ارتبطت بألفاظ القرآن، ولكنه قصدها مع توافق السياق والمقام على إيرادها.

علي بن الخليل الكوفي، "مولى يزيد بن مزيد الشيباني، ويكنى أبا الحسن، أحد شعراء الكوفة وظرفائهم. هو ومطيع بن إياس، ويحيى بن زياد، طبقة يتصاحبون على المجون، والخلاعة، والشراب"[19]، ومما يروى له أنه اجتمع عند أبي نواس مع مجموعة من الشعراء يتناشدون الشعر، فلما كانت الظهيرة وأرادوا الانصراف اختلفوا أين يقضون ليلتهم، فكل واحد منهم طلب أن تكون سهرهم ومجونهم عنده، فاقترح أبو نواس أن ينظم كل واحد منهم شعرًا يبين فيه ما أعده لأصحابه، فقال علي بن الخليل [الرجز]:

([18]) الأصبهاني، الأغاني (416/10).

([19]) المرزباني، معجم الشعراء، ص 283.

أَلَا قَومُـــــــــوا أَخِلَّائِـــــــــي جَمَاعَـــــــــاتٍ أَعِينُـــــــــونِي

إِلَـــــى صَـــــهْبَاءَ كَالْمِسْـــــكِ وَأَبْكَـــــارٍ مِـــــنَ الْعِـــــينِ

وَأَلْحَـــــــانٍ بَـــــــدِيعَاتٍ بِحَـــــــدَّاقِ الْحُوَيْسِـــــــينِ

أَلَا سَـــــــــخَّرَكُمُ رَبِّـــــــــي جَمِيعًـــــــا أَنْ تُؤَاتُـــــــونِي[20]

يستعير الشاعر ألفاظًا قرآنية تصف نعيم الجنة، كـ{فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا} و{وَحُورٌ عِينٌ}، ليصوّر مجلس لهوه المترف بالخمر والأبكار والعزف والطرب، فيُسقط معاني النعيم الأخروي على لذائذ الدنيا. ويبلغ به المجون أن يضمن قوله: «سخركم ربي» اقتباسًا من الآية {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}، فيحوّل الألفاظ القرآنية من سياقها القدسي إلى تصوير ساخر للمتعة الحسية، جامعًا بين التضمين الفني والانفلات الدلالي.

أبو نواس (ت 197هـ) يقول [الطويل]:

وَسَـــيَّارَةٍ ضَـــلَّتْ عَـــنِ الْقَصْـــدِ بَعْـــدَمَا تَـــرَادَفَهُمْ أُفْـــقٌ مِـــنَ اللَّيْـــلِ مُظْلِـــمُ

فَأَصْـــغَوا إِلَـــى صَـــوْتٍ، وَنَحْـــنُ عِصَـــابَةٌ وَفِينَـــا فَتًـــى مِـــنْ سُـــكْرِهِ يَتَـــرَنَّمُ

فَلَاحَـــتْ لَهُـــمْ مِنَّـــا عَلَـــى النَّـــأْيِ قَهْـــوَةٌ كَـــأَنَّ سَـــنَاهَا ضَـــوْءُ نَـــارٍ تَضَـــرَّمُ

إِذَا مَـــا حَسَـــوْنَاهَا أَقَـــامُوا مَكَـــانَهُمْ وَإِنْ مُزِجَـــتْ حَثُّـــوا الرِّكَـــابَ وَيَمَّمُـــوا[21]

تتجلى في الأبيات براعة الشاعر في توظيف الألفاظ القرآنية توظيفًا فنيًا يولّد دلالات جديدة ويمنح الصورة عمقًا وبهاءً بلاغيًا؛ إذ جعل من ظلمة الليل ركبًا يسير نحوه، مستلهمًا من القرآن طاقته

([20]) أبو نواس النصوص المحرمة، ص 27.

([21]) أبو نواس، الديوان، ت: الغزالي، ص 45.

التصويرية. ويروي النويري أن أبا نواس حين سمع تلاوة قوله تعالى: {يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ...} ألهمته الآية وصفًا بديعًا للخمر، مما يكشف أثر النص القرآني في إيقاد خيال الشاعر وإخصابه فنيًا[22].

ومنه كذلك قول أبي نواس [مجزوء الرمل]:

دَقَّ مَعْنَـــــى الْخَمْـــــرِ حَتَّـــــى هُـــــو فِـــــي رَجْـــــمِ الظُّنُـــــونِ

كُلَّمَـــــا حَاوَلَهَـــــا النَّـــــا ظِـــــرُ مِـــــنْ طَـــــرْفِ الْجُفُـــــونِ

رَجَـــــعَ الطَّـــــرْفُ حَسِـــــيرًا عَـــــنْ خَيَـــــالَ الزَّرَجُـــــونِ

لَـــــمْ تَقُـــــمْ فِـــــي الْـــــوَهْمِ إِلَّا كَـــــذَّبَتْ عَـــــيْنَ الْيَقِـــــينِ[23]

يصور الشاعر أثر الخمر في النفس حتى يعجز شاربها عن الإقلاع عنها، فيقابل بين الوهم وعين اليقين، مستعيرًا اللفظ القرآني {عَيْنَ الْيَقِينِ} ليمنح المعنى بعدًا فنيًا جديدًا، وقد حوّل الشاعر الدلالة القرآنية من يقين الرؤية الأخروية إلى يقين الوهم والمتعة؛ ما أكسب شعره فرادة وخلودًا، رغم ندرة هذا النوع من التضمين في شعر المجون؛ إذ يندر أن يُضمَّن لفظ قرآني واحد يتبدل معناه دون أن يفقد وضوحه الأصلي.

-**التضمين النصي:** وهو أن يضمن الشاعر جزءًا من آية من القرآن الكريم كلمتين أو أكثر، ويكون التضمين حرفيًا لجزء الآية، أو فيه تقديم وتأخير ليتناسق النص القرآني مع النص الشعري البشري ويكسبه الغاية التي أرادها الشاعر.

حماد عجرد (ت 161هـ) اشتُهر في الدولة العباسية، و"قدم البصرة في أيام المهدي، وقال علي بن الجعد: قدم علينا في أيام المهدي هؤلاء القوم: حماد عجرد، ومطيع بن إياس الكناني، ويحيى بن زياد، فنزلوا بالقرب منا فكانوا لا يطاقون خبثًا ومجانة"[24]، ومن مجونه دعوته لأصحابه وقد أعد لهم الطعام والشراب، وهيأ لهم المجلس فقال [الرجز]:

يَـــا إِخْـــوَتِي عِنْـــدِي لَكُـــمْ بَطَّـــةٌ وَدَنٌّ خَمْـــــرٍ مِـــــنْ رَاسَـــــطُونِ

([22]) ينظر: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (99/4).

([23]) أبو نواس، الديوان، ت: الغزالي، ص 47.

([24]) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ت: إحسان عباس (211/2).

وَلَحْـــــــمُ طَيْـــــــرٍ وَأَتَابِيعُـــــــهُ فَـــــإِنْ نَشِـــــطْتُمْ فَـــــأَجِيبُونِي[25]

ولا ريب أن لحم الطير من أطايب اللحوم ولذا جعله الله من نعيم أهل الجنة، فقال تعالى: {وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ} [الواقعة: 21]، والشاعر ضمَّن الشطر الأول من البيت الثاني نصًّا من القرآن الكريم وأعاده في ثوب جديد يتوافق مع المناسبة والمقام، فخلق بُعدًا دلاليًّا جديدًا، ويفسر هذا النص المضمن ضمن عملية الخلق الجديدة للنص، ولا يُفسر في أصله، مع وجود العلاقة بين الاستدعاء له والنص المُنشأ "ويظل النص التضميني دخيلًا، أو ثقافيًّا تزينيًّا، ويظل المقطع التضميني أو الاقتباس هو الذي يتكلم في النص الجديد، وهو الذي يشرح ويفسر"[26].

ومن التضمين قول أبي نواس [الخفيف]:

فِـــي أَبَـــارِيقَ، مِـــنْ لُجَـــيْنٍ حِسَـــانٍ كَظِبَـــاءٍ سَـــكَنَّ عَـــرْضَ القِفَـــارِ

أَوْ كَـــرَاكٍ ذُعـــرْنَ مِـــنْ صَـــوْتِ صَـــقرٍ مُفزَعـــاتٍ، شَـــوَاخِصَ الْأَبْصَـــارِ[27]

يصف الشاعر أباريق الخمر المصوغة من الفضة بجمال يشبه ظباء الصحراء، مستلهمًا الصورة من التراث البدوي، ثم يصوّر حركة الشراب في الأباريق كطير الكراكي المرتجف خوفًا من الصقر، في مشهد يجمع الرهافة والطرافة. وقد ضمَّن الشاعر ألفاظًا ومعاني قرآنية، مستبدلًا بعضها كما في قوله تعالى: {يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}، فحوّل دلالتها من هول الموقف الأخروي إلى دهشة المتعة الحسية، مما أضفى على الصورة عمقًا جماليًا وتناصًا دلاليًا بارعًا[28].

تغلب النزعة العقدية على شعر أبي نواس، إذ يجاهر بالمجون ويدعو إلى الإكثار من المعاصي ثقةً بعفو الله، في تعبير عن تمرده على الثوابت الدينية والاجتماعية. فقد جسّد مع مجان عصره ثورةً شاملة على الموروث الشعري والبدوي والديني، متأثرين بالجدل الكلامي والفكري الذي ساد زمنهم، فصار شعرهم مرآة لعصرٍ مضطرب القيم متعطش للحرية والانفلات؛ فنجد أبو نواس يقول [الوافر]:

([25]) أبو نواس النصوص المحرمة، ص 28.

([26]) عبد القادر فلهوز، التضمين الشعري: مفهومه، شروطه، طرقه، مراتبه، وجمالياته، ص 1893.

([27]) أبو نواس، الديوان، ص 357. شاملة.

([28]) البغوي، معالم التنزيل، ت: عبد الرزاق المهدي (45/3).

تَكَثَّـــرْ مَـــا اسْـــتَطَعْتَ مِـــنَ الْخَطَايَـــا فَإِنَّـــــكَ قَاصِـــــدٌ رَبًّـــــا غَفُـــــورَا

سَتُبْصِـــرُ إِنْ قَـــدِمْتَ عَلَيْـــهِ عَفْـــوًا وَتَلْقَـــــى سَـــــيِّدًا مَلِكًـــــا كَبِيـــــرَا

تَعُـــــضُّ نَدَامَـــــةً كَفَّيْـــــكَ مِمَّـــــا تَرَكْـــتَ مَخَافَـــةَ النَّـــارِ السُّـــرُورَا[29]

ضمَّن الشاعر في بيتيه ألفاظًا قرآنية دقيقة، منها {وَرَبٌّ غَفُورٌ} و{وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا}، مستندًا إلى قراءة قرآنية غير مشهورة وردت عن ابن كثير وابن عباس وعلي رضي الله عنهما، مما يكشف عن ثقافة دينية واسعة لدى الشاعر، ويعكس تفاعل العصر العباسي مع تعدد القراءات وتنوع العلوم[30].

ومما يروى من عجائب أبي نواس ورفاقه المجان، أنا أبا نواس اجتمع هو ومسلم بن الوليد و(الخليع) الحسين بن الضحاك، وجماعة من العراء في مجلس، فقال بعضهم: أيكم يأتيني ببيت شعر فيه آية من القرآن وله حكمه؟ فأخذوا يفكرون فيه، فبادر أبو نواس فقال [الرجز]:

وَفِتْيَـــــةٍ فِـــــي مَجْلِـــــسٍ وُجُـــــوهُهُمْ رَيَحَـــــانُهُمْ قَـــــدْ أَمِنُـــــوا الثَّقِـــــيلَا

دَانِيـــــــةٌ عَلَـــــــيْهِمْ ظِلَالُهَـــــــا وَذُلِّلَـــــــتْ قُطُوفُهَـــــــا تَـــــــذْلِيلَا[31]

أبرز تضمين الشاعر للآية القرآنية {وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا...} براعته الفائقة وسرعة بديهته، حتى أعجز الشعراء من حوله، ويكشف هذا التوظيف عن ثقافته القرآنية العميقة التي اكتسبها منذ دراسته بالبصرة، وعن أثر القرآن في صياغة صوره الجمالية؛ إذ مزج بين نعيم الشراب الدنيوي ونعيم الجنة، فصاغ مشهدًا يجمع بين الحسّ والقداسة في تناغم فني مدهش.

ومما يروى عنه أنه تعشَّق جارية من جواري المهلب، فبعثت إليه بجارية رسولا بينهما، فعادت إليها تدعي أنه تجمشها، أي: داعبها، فأرسلت إليه ببيتين تعاتبه، فرد عليها قائلًا:

زَعَـــمَ الرَّسُـــولُ بِـــأَنَّنِي جَمَّشْـــتُهُ كَـــذِبِ الرَّسُـــولُ وَفَـــالِقِ الْإِصْـــبَاحِ[32]

([29]) عبد الرحمن صدقي، أبو نواس قصة حياته وشعره، ص 188.

([30]) ينظر: أبو القاسم الهذلي، الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، ت: الشايب، ص 551، وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ت: الضباع (29/1).

([31]) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ت: فراج، ص 207.

فقد ضمن لفظين من الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [الأنعام: 96].

يُعدّ ابن الحجاج (ت 391هـ) من شعراء العصر العباسي المبرزين، عُرف بمجونه وظرفه وسلاسة أسلوبه، وكان شيعيًّا محبًّا لآل البيت، تولّى حِسبة بغداد وأوصى أن يُدفن قرب مشهد موسى بن جعفر، وصفه ابن خلكان بأنه شاعر فريد جمع بين الطرافة والخلاعة وخفة الروح[33]، فيما روى الثعالبي مواقف طريفة تدل على مزاجه المرح وسرعة بديهته، ما جعله ظاهرة مميزة في شعر الهزل والمجون العباسي، يقول [البسيط]:

الصَّفْحُ بِالنِّقْطِ فِي الثِّيَابِ ... مَا لَمْ يَكُنْ قَطُّ فِي حِسَابِي

يَا رَبِّ مَنْ كَانَ سَنَّ هَذَا ... فَزِدْهُ ضِعْفًا مِنَ الْعَذَابِ

فِي قَعْرِ حَمْرَاءَ لَيْسَ فِيهَا ... غَيْرَ بَنِي البَظْرِ وَالْقِحَابِ[34]

ضمَّن الشاعر في بيته جزءًا من الآية {فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ} مع تحويرٍ لفظي حافظ على صيغة الدعاء، فانسجم التضمين مع سياق الأبيات وأبرز عمق تأثر الشعراء بالبلاغة القرآنية وهيمنة الثقافة الدينية في العصر العباسي، وقد أكسب هذا التناص شعره بعدًا جماليًا ووقعًا فنيًا قويًا؛ ما يدل على تناقض شخصيته بين حياة المجون التي عاشها واستقامته المتقطعة التي أثارت الدهشة، يقول في ذلك [الهزج]:

فَقَدْ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ... وَمَنْ أَقْسَمَ بِالْفَجْرِ

تَحَيَّرْتُ فَمَا أَدْرِي ... الَّذِي أَصْنَعُ فِي أَمْرِي[35]

([32]) أبو نواس النصوص المحرمة، ص 33.

([33]) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ت: إحسان عباس (168/2).

([34]) الثعالبي، يتيمة الدهر، ت: قمحية (90/3، 91).

([35]) الثعالبي، يتيمة الدهر (387/1).

فقد ضمَّن الشاعر البيت الأول مطلع سورة الفجر وهي قوله تعالى: {وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ} [الفجر: 1–3]، فهو يقسم متأثرًا ببيان القرآن وزواجره على أنه متحير في أمره ومذهبه وربما كان أحسن حالًا ممن جاهروا بالمجون، وتستروا بأقوالهم.

– **التضمين الإشاري:** هو توظيف الشاعر لألفاظ أو أجزاء من الآيات القرآنية توظيفًا إيحائيًا غير مباشر، بحيث تنصهر في سياق النص الشعري دون أن تخفى على المتلقي الواعي، ويمنح هذا الأسلوب الشاعر حرية فنية أوسع ويكشف عن وعيه الجمالي والثقافي في الإفادة من بلاغة القرآن. ويُعدّ هذا النوع أكثر شيوعًا في شعر المجون العباسي، إذ تفاوت الشعراء فيه بين من التزم بآداب التضمين ومقاصده، ومن تجاوزه في لهوه ومجونه، تبعًا لتحولات الوعي وتجارب الحياة.

أبو دلامة (ت 161هـ)، لقي من الخلفاء العباسيين: السفاح والمنصور والمهدي، وكان فيه خلاعة ومجون، يختلف إلى حانات الشراب، وكان الخليفة أبو العباس شديد الولع به، فألزمه قصره أيامًا، فثقل على أبي دلامة أن يصلي الخمس صلوات، وينقطع عن الشراب، فقال [الطويل]:

أَلَـــمْ تَعْلَمِـــي أَنَّ الْخَلِيفَـــةَ لَزَّنِـــي ... بِمَسْـــجِدِهِ وَالْقَصْـــرِ، مَـــا لِـــي وَلِلْقَصْـــرِ

أُصَـــلِّي بِـــهِ الْأُولَـــى مَـــعَ الْعَصْـــرِ دَائِبًـــا ... فَـــوَيْلِي مِـــنَ الْأُولَـــى وَوَيْلِـــي مِـــنَ الْعَصْـــرِ

وَيَحْبِسُـــنِي عَـــنْ مَجْلِـــسٍ أَسْـــتَلِذُّهُ ... أُعَلَّـــلُ فِيـــهِ بِالسَّـــمَاعِ وَبِـــالْخَمْرِ

وَوَاللهِ مَـــا بِـــي نِيَّـــةٌ فِـــي صَـــلَاتِهِ ... وَلَا الْبِـــرُّ وَالْإِحْسَـــانُ وَالْخَيْـــرُ مِـــنْ أَمْـــرِي

وَمَـــا ضَـــرَّهُ –وَاللهُ يُصْـــلِحُ أَمْـــرَهُ– ... لَـــوْ أَنَّ ذُنُـــوبَ الْعَـــالَمِينَ عَلَـــى ظَهْـــرِي[36]

فالشاعر هنا يضمن شعره إشارات واضحة بين الدال والمدلول كالصلاة الأولى والمقصود بها الفجر، وما يهمنا هو الإشارة في بيته الأخير، حيث ضمنه معنى الآية الكريمة: {مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الإسراء: 15]، ولذا فإن الخليفة اقتنع وقال: "صدق! ما يضرّني ذلك، والله لا يصلح هذا أبدًا، فدعوه يعمل ما يشاء"[37]، وهو ما يدلنا على المفارقة الدينية والاجتماعية في هذا العصر مع الحرية التي كان يحظى بها هؤلاء المُجَّان.

([36]) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص 61.

([37]) الأصبهاني، الأغاني (416/10).

حماد عجرد، انتقل حماد إلى فارس وخالط فيها بعض الأمراء ورؤساء القوم فأحسنوا صحبته، فقال فيهم [مجزوء الرمل]:

رُبَّ يَـــــــــوْمٍ بِفَسَـــــــــاءٍ ... لَـــــيْسَ عِنْـــــدِي بِـــــذَمِيمِ

قَـــــدْ قَرَعْـــــتُ الْعَـــــيْشَ فِيـــــهِ ... مَـــــعَ نَـــــدْمَانٍ كَـــــرِيمِ

فِـــــي جِنَـــــانٍ بَـــــيْنَ أَنْهَـــــا ... رٍ وَتَعْـــــــــرِيشٍ كَـــــــــرُومِ

نَتَعَـــــاطَى قَهْـــــوَةً تُشْـــــ ... ـــــخِصُ يَقْظَـــــانَ الْهُمُـــــومِ[38]

فهذه الأبيات ضمَّن فيها الشاعر نصًّا من القرآن الكريم تضمينًا إشاريًّا، يشير إلى ما أعده الله تعالى لعباده المتقين في الآخرة من الجنان والأنهار، كقوله تعالى: {لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [آل عمران: 15]، وهذا التضمين الإشاري يحيل إلى الهيمنة الفكرية، والإبداعية البلاغية، وسمو الخيال في النظم القرآني المؤثر في الشعراء، فهو المَعين الذي ينهل منه الشعراء في صورهم الجمالية والفكرية.

أبو الهندي (ت 180هـ)، واسمه: عبد الله بن ربعي بن شبث بن ربعي الرياحي[39]، وقد شهد العصر العباسي الأول، وكان مشهورًا بالمجون وشُرب الخمر وعشقها، حتى كان يجاهر بها على قارعة الطريق نهارًا، وله تأثير كبير في الحسن بن هانئ، في مذهبه العقدي، وفي شرب الخمر، والمجاهرة بالمجون، والتمرد على العادات الاجتماعية والدينية، فيقول [الرمل]:

اجْعَلُـــوا إِنْ مِـــتُّ يَوْمًـــا كَفَنِـــي ... وَرَقَ الْكَـــرْمِ وَقَبْـــرِي مَعْصَـــرَهْ

وَادْفِنُـــونِي وَادْفِنُـــوا الـــرَّاحَ مَعِـــي ... وَاجْعَلُـــوا الْأَقْـــدَاحَ حَـــوْلَ الْمَقْبَـــرَهْ

([38]) الأصبهاني، الأغاني (478/14).

([39]) ينظر: ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص 136، وابن قتيبة، الشعر والشعراء (671/2).

إِنَّنِـــــي أَرْجُـــــو مِـــــنَ اللهِ غَـــــدًا بَعْـــدَ شُـــرْبِ الـــرَّاحِ حُسْـــنُ الْمَغْفِـــرَهْ[40]

فالنص الشعري يترابط مع النص القرآني ترابطًا غير مباشر، يضمن معاني آيات القرآن دون التصريح بها، في نص مركزي يجمع بين البشري والإلهي، فهو يشير إلى مذهبه العقدي بأنه يرجو مع ارتكابه هذه الكبيرة؛ عفو الله وغفرانه، وذلك نجده في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: 48، 116].

تأثر **أبو نواس** بأبي الهندي وبالجدل الكلامي السائد في عصره، فاعتنق مذهب المرجئة القائل بأن الإيمان تصديق بالقلب دون أن تكون الأعمال شرطًا فيه، وأن الله قد يعفو عن العصاة بمشيئته. وقد انسجم هذا المذهب مع نزعة أبي نواس الماجنة؛ إذ جمع بين خوفٍ قلبي من الله وممارسةٍ ظاهرةٍ للخمر والمجون، فصار شعره انعكاسًا لهذا التناقض بين العقيدة والسلوك؛ يقول [البسيط]:

غَـــادِ المُـــدَامَ، وَإِنْ كَانَـــتْ مُحَرَّمَـــةً فَلِلْكَبـــــائِرِ عِنـــــدَ اللهِ غُفْـــــرَانُ[41]

فالشاعر يعلم أن الخمر من الكبائر، مشيرًا إلى الآية السابقة، ونفس المعنى الذي قصده أبو الهندي، فالنصان فضاؤهما الأيديولوجي واحد معبرين عن الوعي والفكر والثقافة لديهما، والغاية من النصين واحدة، وهي الثبات على المجون، ومحاولة استمالة المتلقي وقلب الحقائق.

ويبدو أن أبا نواس ليس كما ادُّعي عليه بالزندقة، وإنما هو غارق في اللذات لا يستطيع كبح جماح نفسه عنها، ويعترف بذلك في قوله [البسيط]:

الـــرَّاحُ شَـــيْءٌ عَجِيـــبٌ أَنْـــتَ شَـــارِبُهَا فَاشْـــــرَبْ، وَإِنْ حَمَّلَتْـــــكَ الـــــرَّاحُ أَوْزَارَا

يَـــا مـــنْ يَلُـــومُ عَلَـــى حَمْـــرَاءَ صَـــافِيَةٍ صِرْ فِـي الْجِنَـانِ، وَدَعْنِـي أَسْكُنُ النَّـارَا [42]

يعبّر الشاعر عن عجزه أمام سطوة الخمر، مقرًّا بحرمتها وعقاب شاربها، ومؤمنًا بأن الطائعين هم أهل الجنة، والعصاة مصيرهم النار، ويكشف بذلك عن صدق إيمانه وضعفه البشري لا عن زندقةٍ كما اتُّهم، مستشهدًا ضمنًا بآياتٍ تؤكد جزاء المطيع والعاصي؛ ما يجعل اعترافه اعترافًا مؤمنًا ممزقًا بين يقين العقيدة وغلبة الهوى.

([40]) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص 138.

([41]) الديوان ص 883 شاملة.

([42]) الديوان ص 352 شاملة.

الخاتمة:

أولًا: النتائج:

- جاءت نتائج الدراسة لتكشف عن ملامح التفاعل النصي والدلالي بين القرآن الكريم وشعر المجون العباسي، حيث استُدعي النص المقدّس في سياقٍ مغايرٍ لمقاصده ليؤدي دورًا جماليًا وفنيًا يزاوج بين المفارقة والدهشة.
- أوضحت النتائج أن مفهوم التضمين متجذر في تراث النقد العربي، وقد تبلور بوضوح في الشعر بوصفه توظيفًا لكلامٍ سابق داخل بناء شعري جديد. كما بيّنت أن ظاهرة المجون لم تكن حالة عابرة، بل نتاج تحولات اجتماعية وفكرية وانفتاح ثقافي واسع، أسفر عن مجتمعٍ تتنازع فيه القيم بين قداسة الدين وممارسات اللهو والانفلات.
- وتبيّن أن التضمين القرآني تجلّى في ثلاثة أشكال رئيسة: اللفظي، والنصي، والإشاري، وكانت وظيفته غالبًا بلاغية وجدلية توظّف السخرية أو الدفاع أو الإقناع. كما ظهر أن شعراء المجون تفاوتوا عقديًا وفكريًا بتأثير المذاهب الكلامية والفلسفية، وأن الحكم على شعرهم ينبغي أن ينطلق من خصوصيته الفنية لا من زاوية عقدية ضيقة.
- تأكيد أن التضمين القرآني في شعر المجون شكّل تفاعلاً نصيًا واعيًا بين المقدّس والمدنّس، والجدّ والهزل، ليولد من هذا التوتر معنى جديد يعبّر عن حسٍّ فنيٍّ يتجاوز حدود المعصية إلى أفق الإبداع.

ثانيًا: التوصيات:

- توجيه الاهتمام العلمي إلى شعر العصر العباسي، لا سيما في جانبه المتعلق بالتضمين القرآني، نظرًا لما يحويه من مادة ثرية تعكس مدى تفاعل الشعراء مع النص الديني في سياقات متباينة.
- اعتماد أدوات النقد الحديث، خاصة تلك المعنية بتحليل التفاعل النصي وفك البنية الرمزية للنصوص، لفهم أعمق لمستويات التضمين ودلالاته المختلفة، بعيدًا عن النظرة التجريمية أو الانبهار التفسيري، وبما يُسهم في إعادة قراءة هذا الشعر ضمن أفق معرفي جديد يوازن بين الاحترام الواجب للنص القرآني والفهم العميق لآليات التعبير الشعري.

المراجع والمصادر

-القرآن الكريم.

– إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

– أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم، شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط 1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423هـ.

– أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ت: عبد الحميد هنداوي، ط 1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 2003م.

– أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، وفيات الأعيان، ت: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، 1900م.

– أحمد شوقي عبد السلام ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ط 1، دار المعارف – مصر، 1966.

-أحمد شوقي عبد السلام ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط 12، دار المعارف بمصر.

– أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ط. د.

-أبو نواس النصوص المحرمة، ت: جمال جمعة، ط 1، 1994م، طبعة لكتاب الفكاهة والايتناس في مجون أبي نواس وبعض نقائضه مع الشعراء، ط 1316هـ.

-الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط 5، دار الجيل، 1981م.

– الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، أبو محمد، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ت: عبد الرزاق المهدي، ط 1، دار إحياء التراث العربي –بيروت، 1420هـ.

-ديوان أبي نواس، الحسن بن هانئ، ت: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، د. ط.

– ديوان أبي نواس، الحسن بن هانئ، نسخة على الشاملة الذهبية.

– عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م.

-عبد الرحمن صدقي، أبو نواس قصة حياته وشعره، دائرة المعارف الإسلامية، ط. د.

-عبد القادر فلهوز، التضمين الشعري: مفهومه، شروطه، طرقه، مراتبه، وجمالياته، مجلة المدونة، مج 8، ع 2، 2021م.

– علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم، أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ط 1، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1415هـ.

– علي شلق، أبو نواس بين التخطي والالتزام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت– لبنان، 1981م.

– عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي، طبقات الشعراء، ت: عبد الستار أحمد فراج، ط 3، دار المعارف – القاهرة.

– عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ت: مفيد محمد قمحية، ط 1، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، 1983م.

–محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط 3، دار صادر – بيروت، 1414هـ.

– محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض مرعب، ط 1، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 2001م.

– محمد عبد الحسين محمد الخطيب، الاقتباس والتناص والقرآنية نظرة في إشكالية المصطلحات والمفاهيم والتطبيقات، مجلة التأويل وتحليل الخطاب، مج 2، ع 1، 2021م.

– مسعود بن عمر التفتازاني، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ت: عبد الحميد هنداوي، ط 3، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

–الموسوعة العربية الميسرة، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العلمية ط1، دار الجيل بيروت– لبنان، 2004م.

–الموسوعة العربية الميسرة، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العلمية ط1، دار الجيل بيروت– لبنان، 2004م.

– نصر الله بن محمد، ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة.

–يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر– القاهرة، 1986م.